دلوني على الجميلة !

Show Me The Beautiful

فضيلة الشيخ

محمد الصاوي

دار الدين القيم

للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، وخاتم الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه، ومن اتَّبع سنته إلى يوم الدين.

عَلَيكَ يَا ربِ نُثْني
بِمَا لَهُ أَنتَ أَهْلُ
عَلى الوَرَى لَكَ فَضْلُ
وجُودُكَ الغَمْر جَزلُ
يَا مَنْ تَقَدَّس شَأْنًا
عَنْ أَنْ يُدَانِيهِ مِثلُ
طُوبَى لِمَن حَازَ قُربًا
وَنَاله مِنْكَ وَصْلُ

وَأَنْفَــقَ العُمْــرَ فِيمَـــا
لَهُ بِــهِ الـــشَّأْنُ يَعْلُـــو
قَومًـــا لَهُــم بِــكَ شُــغلُ
وَلَا لَهُــم عَنْــكَ شُــغْلُ
بَـــابُ الرِّضَـــا لَازَمُـــوهُ
طَــوعًا فَعَــزُّوا وَجَلُّــوا
وَطَــاوَلُوا الــسَّبْعَ فَخْــرًا
وَفِي ذُرَا العِـــزِّ حَلُّـــوا
يَــا لَيْتَــنِي كُنْــتُ مَعَهُــم
فَـــأَيْنَ حَلُّـــوا أَحِـــلُّ
يَـــا رَبِّ إِنْ جَـــلَّ ذَنْـــبِي
فَـــالعَفْو مِنْــك أَجَـــلُّ
وَإِنَّ غُفْــــرَانَ حَــــوبِي
عَلَيــكَ يَـــا رَبِّ سَـــهْلُ

وأشهد أن لا اله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد ..

أيها الأخوة الأحباب ..

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته ..

دلوني على الجميلة ..

أخبروني أين الجميلة؟! ..

ومن هي ؟! ..

أسطر أنقشها اليوم على صفحات من ذهب .. وكلمات أصوغها عقودًا من اللآلئ الحسان .. وأحرف أتوج بها جيد الأخوات الصالحات ..

إليكِ يا من ترغبين أن تكوني جميلةً ..

يا من تبحثين عن لقب أجمل امرأة ..

ربما حدثتِ نفسك يومًا فقلتِ:

ماذا لو كنت ملكة جمال العالم ..؟!

الكل سيرى جمال وجهي .. وحسن قوامي .. وبياض لوني ..

عينًا كحيلة .. وخصرًا نحيفًا .. وجسد ممشوق .. أصابع رقيقة .. وأقدام متناسقة .. وشعر مسدول ..

لكن تُرى هل سيظل جمالي ..؟!

وهل سيدوم حسني وبهائي ..؟!

ربما كانت هذه أفكار كثير من الفتيات .. ومشاعر كثيرٍ من الأخوات ..

لكن من هي الجميلة الحقيقية ..؟

هل هي صاحبة الماكياج المتميز ..؟

هل هي التي تحصل على أزيائها من (برزاتشي وأمندا) ..؟

هل هي التي تهتم بأحمر الشفاه، والموديلات المتميزة ..؟

أم أنها تلك التي لا تجف دموعها ليلًا .. شوقًا إلى جنة الله سبحانه وتعالى ..؟!

أم أنها تلك التي تهتم بزوجها .. فهي تعلم أنه طريقها إلى السعادة ..؟

أم أنها تلك التي تربي أولادها على دين الإسلام الخالص ..؟ همها .. هدفها .. سعيها .. أملها ..

حياتها كلها لله تعالى ..

دعوني اليوم إخوتي أعرض عليكن صور الجميلات .. اللواتي سطَّرهن التاريخ فوق جميلات الجسد ..

إنهن جميلات الروح والدين ..

أختي الكريمة ..

امنحيني الآن قلبك وجوارحكِ ..

ركزي عقلكِ فإليكِ شموس الدنيا ..

العفيفة
مريم ابنة عمران

كانت بين قومها طاهرة عفيفة صدوقة ..

صانت نفسها عن كل حرام .. لقد نذرتها أمها منذ أن كانت حاملًا فيها أن تكون لخدمة بيت الله .. ولرفعة دين الله سبحانه وتعالى ..

وجاءت إلى الدنيا تلك المرأة العظيمة مريم عليها السلام .. وعاشت حياتها لله سبحانه وتعالى .. وفي خدمة بيوت العبادة ..

وجاءها أمر الله جل وعلا بأن تحمل بنبيٍ من أنبياء الله ..

إنه عيسى عليه الصلاة والسلام ..

يا الله ..

ما أصعب هذه اللحظات ..!!

يا رب كيف سأكون حاملًا .. وأنا ما كنت يومًا بغيًا .. ولا عاصيةً ..؟

لكنه أمر الله جل وعلا ..

وينفخ الله فيها الروح ..

ويأتيها المخاض قريبًا من جزع نخلة ..

ويطلب الله منها أن تهز الجزع ليسقط عليها الرطب ..

سبحان الله ..

وأنا في مثل هذه اللحظات ..

كيف سأهز جزعًا قويًا عظيمًا؟!

ولكن ..

سمعًا وطاعةً يا ربي ..

وتضع مريم .. رسول الله عيسى عليه الصلاة والسلام ..

ويأتي الامتحان الصعب العسير ..

تأتي إلى قومها ..

ويذهل القوم .. لا يصدقون أعينهم ..

لا .. كيف حصل هذا يا مريم كيف حصل ..؟

ويُنطِقُ الله جل وعلا ذلك الغلام .. ليقول كلمات العبودية الصادقة .. فإليكِ أختي هذه الآيات العظيمة ..

﴿ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ
إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴿٢٣﴾
فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ
بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴾[مريم:٢٢-٢٥].

يا الله ..

في مثل هذه اللحظات العسيرة ..

وفي هذا الابتلاء الضخم ..

اسمعي أختي ..

حتى تدركي شموخ وعظمة جميلات الروح والقلب:

﴿فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا
﴿٢٧﴾ يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا
﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ ۖ قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّى
عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ
وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى
جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ
حَيًّا﴾[مريم:٢٧-٣٣]

الله أكبر .. وانتصر دين الله ..

وارتفعت راية التوحيد بصلاح امرأة صادقة ..

بتقوى صالحة مخلصة ..

وصدع نبي الله عيسى عليه الصلاة والسلام برسالته العظيمة ..

بالله عليكِ أختي أليست مريم تستحق لقب الجميلة ..؟!

صبرت .. تعبت .. عانت .. بذلت ..

وإحدانا اليوم ربما لا تصبر على ركعات في جوف الليل ..

ربما لا تصبر على سوء معاملة زوجها ..

ربما لا تصبر على تربية أولادها ..

فما بالِك بالأخوات اللواتي همهن تلفاز .. أو كليب ..

أو شهوة عابرة ..

دعيني أحدثكِ عن كثير من العظيمات أختي.

* * *

الصحن المكشوف

إنها تلك المعلمة الرائعة ميمونة ..

كلمتني يومًا فقالت:

سمعت بقصة فعلتها إحدى الأخوات وأرادت تطبيقها، وأحببت أن أخبرك بها ..

أنا معلمة لمجموعة من الطالبات في المرحلة الثانوية ..

دخلت يومًا الفصل .. وكنت أعاني من سوء أخلاق الكثيرات منهن .. وعدم تمسكهن بالحجاب الشرعي .. وعندما دخلت إلى الفصل أحضرت معي طبقين من الحلوى .. كان أحد الطبقين مكشوفًا والآخر مغطى ..

وضعت الطبقين على الطاولة .. وبدأت بشرح الدرس .. كانت نظرات الطالبات تحمل الكثير من علامات الاستفهام .. لم أبالي بهن .. أكملت الحصة ثم قلت:

هيا أيتها الفتيات .. تعالين إلى هذه الحلويات .. فأسرعن إلى الطبق المغطى والتهمنه كله ..

وبقيَ الطبق المكشوف كما هو ! ..

ثم أمرتهن بالرجوع إلى المقاعد ..

ثم سألت البعض:

لماذا لم تأكلن من الصحن المكشوف ..؟!

وكان الجواب المتوقع:

بسبب تعرضه للذباب والغبار .. ونحو ذلك ..

فقلت لهن:

وهكذا الرجل الصالح لا يبحث إلا عن فتاة محجبة .. مغطاة .. هو وحده فقط من ينظر إليها ويشاهدها ..

تأثرت الفتيات بهذه الكلمات اليسيرة مع أنني والله أخرجتها من قلبي ..

وقصدي لهن النصح والإرشاد إلى الخير ..

ومرت أسابيع ..

وجاءت الإجازة ..

وبعد العودة إلى الدراسة .. فوجئت أن ثلاث عشرة طالبة منهن قُمنَّ بارتداء الحجاب الشرعي .. خوفًا من الله سبحانه .. ورغبة في اتِّباع سنة النبي ﷺ ..

يا الله ..

ما أجمل العمل للدين ..!

وما أجمل أن تحمل الأنثى في قلبها همًا .. وصدقًا .. وعملًا .. وتضحية لـ«لا إله إلا الله محمد رسول الله» ..!

نعم تضع ذلك الهم بجوار العواطف الجياشة التي تمتلكها في فؤادها ..

بجوار مشاعر الحب والغرام التي تحملها لزوجها وحبيب قلبها ..

بجوار مشاعر الأمومة الصادقة المخلصة التي تحملها لأولادها ..

تظل مشاعر حب هذا الدين والعمل للإسلام مسيطرة على الجوارح كلها ..

❊ ❊ ❊

خديجة بنت خويلد

أختي المسلمة ..

لامسي هذه الصورة .. وخذي هذه الأحاسيس ..

واستمعي لذلك النغم ..

ملكة جمال الدنيا ليست أوربية .. ولا أفريقية .. ولا شرقية .. ولا غربية ..

لا .. إنها زوجة أعظم رجلٍ مشى بقدميه على كوكب الأرض ..

إنها زوجه محمد ﷺ ..

إنها أُم المؤمنين خديجة رضي الله عنها ..

سبحان الله ..

كان أجمل زواج وأحلى عرس .. يوم زفت خديجة إلى رسول الله ﷺ ..

كانت تعلم صدقه ودينه وأمانته ..

وكانت تشعر أن له شأن بين الناس ..

وعاشت خديجة رضي الله عنها مع محمد صلى الله عليه وسلم أجمل حياة ..

وفي يوم من الأيام ..

كان القمر يرسل شعاعه الفضي الجميل .. ليدخل من تلك النافذة الصغيرة في حجرة خديجة رضي الله عنها ..

كانت نائمةً ..

ورأت في منامها .. أن الشمس قد سقطت في بيتها وأضاءت الدنيا كلها .. وانتفضت خديجة رضي الله عنها من هذه الرؤيا العجيبة ..

ذهبت إلى ابن عمها ورقة بن نوفل -وكان على دين سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام- وقصت عليه الرؤيا ..

فأخبرها بشارة ما كانت تظن أن تسمع مثلها .. قال لها:

إن صدقت رؤياكِ فسيدخل نور النبوة بيتكِ !.

وتمُر الأيام مملوءة بالأحداث والمفاجآت ..

ويأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم ليدخل داره وبيته .. وتستقبله خديجة رضي الله عنها بصدر مُلِئ حبًا وحنانًا .. وتهمس بكلمات تفرح رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

الله أكبر ..

إنها الآن حامل ..

وتمر الأشهر وتنجب خديجة لرسول الله ﷺ أول أبنائه «القاسم» .. وتزيد حياة النبي ﷺ فرحًا وسرورًا ..

ويبدأ الإعداد للمهمة الكبرى ..

مهمة الرسالة العظيمة ..

وتمضي خديجة بجوار الرسول ﷺ على نفس الطريق ..

صابرة .. محتسبة ..

وفي ليلة عجيبة ينزل الوحي على رسول الله ﷺ ..

ويعود رسول الله ﷺ خائفًا ترجف بوادره ..

«زملوني .. زملوني ..

دثروني .. دثروني ..

لقد خشيت على نفسي يا خديجة ..»

سبحان الله ..

وتجيبه الزوجةُ الحنون .. التي تربت على ما لم يتربى عليه بنات الأكاديميات اليوم ..

قالت بصوت دافئ هادئ:

كلا والله .. لا يخزيك الله أبدًا .. إنك لتصل الرحم .. وتصدق الحديث .. وتحمل الكَلَّ .. وتكسب المعدوم .. وتكرم الضيف .. وتعين على نوائب الحق ..

يا الله ..

ما أحلاها من كلمات .. طمأنت فؤاد النبي الكريم ﷺ ..!

وما أجمله من موقف تقفه زوجة صابرة ..

بارة .. محتسبة ..

بل لم يقف الأمر عند هذا ..

فقد ذهبت به ﷺ إلى ابن عمها ورقة ابن نوفل .. ليقص عليه ما رآه ﷺ .. فيزداد طمأنينة وراحة ..

أقف معكِ أختي وقفة يسيره ..

ألسنا في هذا اليوم بحاجة ماسة إلى امرأةٍ وزوجةٍ صالحةٍ حنونة كهذه ..؟!

بلى والله ..

إذن .. ما يمنعكِ أختي أن تكوني خديجة زماننا في حبكِ لزوجك ..

وعطفك واهتمامكِ بتربية أولادك ..

وصبرك على الأقدار المؤلمة التي يقدّرها الله على زوجك ..؟!

انظري ماذا حدث لخديجة بعد ذلك ..

لقد صبرت على كل ما قابله النبي ﷺ من عداء قريش .. وأذى طواغيتهم ..

وتحملت من أجل زوجها كل شيء ..

لقد ضربوا زوجها ﷺ .. ووضعوا قاذورات الحيوانات على ظهره ﷺ .. وحاصروه في شعب مكة .. وهي معه .. ومنعوا عنهم الطعام والشراب ..

حتى أكلوا أوراق الشجر ..

وخديجة صابرة محتسبة ..

يا الله ..

أي وفاء ذلك الوفاء ..؟!

وأي صدق ذلك الصدق ..؟!

لقد استحقت تلك الزوجة الرائعة أن يقول الرسول ﷺ فيها: «خير نسائنا خديجة بنت خويلد ..»

وقال أيضًا:

«أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد، وآسيه بنت مزاحم امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران».

يا سبحان الله ..

اسألي نفسك أختي ..

ما الذي جعل هذه المرأة من خير نساء الجنة؟!

إنه الحب الحقيقي .. والتضحية الصادقة .. والبذل الواسع .. والتربية الناجحة .. والطاعة لله ﷻ ..

وتأتي لحظة من أجمل اللحظات في حياة خديجة رضي الله عنها ..

يدخل عليها زوجها الحبيب ﷺ فيقول لها:

«أبشري يا خديجة ..! إن الله يقرؤكِ السلام، فقد جاءني جبريل فقال: اقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب».

فقالت خديجة:

إن الله هو السلام، وعلى جبريل السلام، وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا رسول الله ..

عجبًا والله ..

ما أجمل هذا الأدب! وما أعظم هذا السمت ..

هل تأملتِ أختي هذا المشهد ..؟!

ربها يسلم عليها .. وجبريل أمين الوحي يسلم عليها ..

وربها يبشرها بالجنة ببيتٍ من لؤلؤٍ .. لا تتعب فيه ولا تتأذى ..

وتمر الأيام .. وخديجة على العهد صابرةً محتسبة ..

حتى تأتي لحظة آلمتها كثيرًا ..

وقفت خديجة على عتبة الباب .. بجوار النبي ﷺ .. يودعان ابنتهما رقية رضي الله عنها هي وزوجها عثمان ابن عفان رضي الله عنه ..

نزلت دموع الشفقة غزيرة من عين خديجة رضي الله عنها .. وطيَّب النبي ﷺ خاطرها بقوله:

«إنهما أول بيت هاجر في سبيل الله بعد إبراهيم ولوط عليهما الصلاة والسلام».

لقد هاجرت ابنتها وزوجها إلى الحبشة .. حفاظًا على دينهما .. وبحثًا عن الراحة والعبادة .. وبقيت خديجة بجوار رسول الله ﷺ ..

وتمر الأيام ..

وتأتي اللحظات الأليمة في حياة النبي ﷺ ..

وترحل خديجة رضي الله عنها ..

وتموت ..

لتكتب في صفحات المجد الصورة الجميلة التي ينبغي أن تكون عليها المرأة المسلمة:

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٣٥].

تُرى أختي ..

هل ستجدين لنفسك صفة تليق بكِ من هذه الآية .. حتى تَصِلي إلى الجنة ..؟ حتى ترضي ربك تعالى .. ؟!

أسأل الله لكِ ذلك ..

* * *

ساجدة

شاهدي أيتها الكريمة هذه الصورة ..

التي هي والله لجميلة من جميلات الأرض ..

اسمها ساجدة ..

وقد عاشت حياتها كلها في طاعة الله سبحانه ..

حفظت القرآن الكريم .. والكثير من سنَّة النبي ﷺ ..

حتى جاء أحلى يوم في حياتها .. يوم زفافها ..

لقد رزقها الله بزوج طيب .. لكنَّه كان كثير السهر والسفر .. وكان مبتلى بالتدخين ..

حاولت نصحه كثيرًا لكن .. بلا فائدة ..

مرَّت السنة الأولى .. ولم تنجب ساجدة أولادًا ..

كان زوجها كثير التذمر .. وكانت هي تُصبِّره بالله ﷻ ..

ومرت خمس سنوات ولم يرزقا بذرية .. فطلبت ساجدة من زوجها أن يتزوج بامرأة ثانية إن كان يرغب ..

فرفض زوجها .. فهو وإن كان بعيدًا عن الله إلا أنه يحبها كثيرًا .. ونصائحها لا تزال ترن في أذنيه ..

ومرت ثمانية سنوات كاملة ..

وحملت ساجدة بعد هذا العمر الطويل ..

وكاد زوجها يطير من الفرحة ..

كان يعُد الأيام عدًّا حتى مرت تسعة أشهر كاملة ..

كان هو في عمله ورن جرس الهاتف:

مبارك عليك .. لقد رزقت بمولود ..

استأذن من عمله .. ركب سيارته .. كان ينطلق بأقصى سرعة إلى المستشفى وعيناه مملوءتان دموعًا ..

يا الله .. لك الحمد يا ربي ..

بعد كل هذه السنوات رزقتني بما كنت أتمنى ..

ويدخل سريعًا إلى قسم الولادة .. يلتفت يمينًا وشمالًا، وجد ممرضة أرشدته على سرير زوجته .. ودخل عليها وأكب على رأسها يقبلها وعلى يديها ..

قال لها:

حبيبتي ساجدة اطلبي ما تريدين ..

ذهب .. فضة .. جواهر ..

تريدين أن نذهب في رحلة إلى باريس أو كوالالمبور ..؟!

والله .. والله .. أي شيء تطلبينه سأحققه لكي ..

نظرت إليه مبتسمة .. وقالت:

أي شيء أطلبه ..؟

قال:

نعم .. أي شيء تطلبينه ..

فتنهدت تنهيدة عميقة .. ثم قالت:

أطلب منك أن تترك التدخين .. وأن تستقيم على شرع الله .. والله هذا أغلى عندي من الدنيا كلها ..

أنا أريدك معي في الجنة ..

تَسمَّر زوجها في مكانه .. وجف ريقه وغزا عينيه بكاءٌ شديد ..

آاااه .. يا زوجتي الحبيبة ..

لقد نسيت ربي .. وأفضاله عليَّ .. ولكنكِ أنرتي طريقي .. وأبصرت عيناي بشعاع الهداية ..

وأكب على قدميها يقبلها .. وهو يقول:

الحمد لله الذي جعل هدايتي على يدي زوجتي ..

الله أكبر..

أختي ما أجمل أن تكوني جميلة .. بدينك .. بحيائك .. وعقيدتك ..

هدفكِ إسعاد المسلمين وإنقاذهم من ظلمات الجهل والعصيان.

* * *

نور الجميلة

أختي ..

امنحيني الآن قلبكِ ..

فإليك قصة نور التي أبكت الناس جميعًا ..

نور الجميلة ..

ليس فقط في وجهها .. بل الجميلة في قلبها ..

قالت هناء:

بدت أختي نور شاحبة الوجه .. نحيفة الجسم .. لكنها كعادتها لا تمل من قراءة القرآن الكريم ..

كلما بحثت عنها أجدها في مصلاها راكعة ساجدة ..

رافعة يديها إلى السماء ..

هكذا في الصباح حالها ..

وفي المساء ..

وفي جوف الليل .. تسكب الدموع لمولاها.

كنت أحرص على قراءة المجلات الفنية .. والكتب ذات الطابع القصصي ..

أشاهد الفيديو بكثرة .. لدرجة أنني اشتهرت بذلك ..

كنت لا أؤدي واجباتي كاملة .. ولست منضبطة في صلواتي ..

بعد أن أغلقت جهاز الفيديو .. وقد شاهدت أفلامًا متنوعة لمدة ثلاث ساعات متواصلة .. هاهو الأذان يرتفع من المسجد المجاور ..

عدت إلى فراشي ..

وفجأة ..

سمعتها تناديني:

«يا هناء يا هناء».

أجبتها:

نعم .. ماذا تريدين يا نور ..؟

قالت لي بنبرة حادة وهي جالسة في مصلاها:

لا تنامي قبل أن تصلي الفجر ..

قلت لها:

أووه .. بقيت ساعة على الفجر وما سمعتيه كان هو الأذان الأول..

قالت لي بنبرتها الحنونة:

تعالي إليَّ يا هناء ..

هكذا هي أختي ..

حنونة طيبة ..

حتى قبل أن يصيبها المرض الخبيث .. وتسقط طريحة الفراش ..

نادتني وأنا أشعر بصفائها وصدقها ..

جئت إليها:

نعم ماذا تريدين ..؟

قالت:

اجلسي.

قلت:

نعم ها أنا قد جلست ماذا لديكِ.

قالت بصوت عذب رخيم:

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

سكتت لحظات .. ثم سألتني:

ألم تؤمني بالموت ..؟

قلت:

بلى .. أنا مؤمنة ..

قالت:

ألست تعلمين بأنكِ ستحاسبين على كل صغيرةٍ وكبيرةٍ ..

قلت:

بلى .. ولكن الله غفور رحيم .. والعمر طويل ..

قالت:

يا هناء .. يا أختي .. ألست تخافين من الموت وبغتته..؟!

.. انظري هند أصغر منكِ .. وتوفيت في حادث سيارة .. وفلانة .. وفلانة .. وفلانة ..

.. الموت لا يعرف عمرًا محددًا .. وليس له مقياس ..

أجبتها بصوت خائف حيث مصلاها المظلم:

إنني أخاف من الظلام يا نور .. وقد أخفتني من الموت .. كيف أنام الآن ..؟

.. كنت أظن إنكِ عندما ناديتيني إنك قد وافقتِ على السفر معنا إلى الخارج في هذه الإجازة ..

فجأة .. تحشرج صوتها، واهتز قلبي.

قالت نور:

لعلي هذه السنة أسافر سفرًا بعيدًا إلى مكان آخر..

.. ربما يا هناء .. الأعمار بيدي الله وانفجرت بالبكاء ..

تفكرت في مرضها الخبيث .. وأن الأطباء أخبروا أبي سرًّا أن المرض ربما لم يمهلها طويلًا ..

ولكن .. من أخبرها بذلك ..؟!

أم أنها تتوقع هذه الخاتمة ..؟!

كنت أفكر .. وفجأة ... جاءني صوتها:

ما لكِ تفكرين يا هناء .. هل تعتقدين أنني أقول هذا لأني مريضة ..؟

.. كلا .. ربما أكون أطول عمرًا من الأصحاء .. لكن أنتِ يا هناء إلى متى ستعيشين ..؟

ربما عشرون سنة .. ربما أربعون سنة .. ربما ستون سنة .. ثم ماذا بعدها ..؟

لمعت يدها البيضاء في الظلام .. ثم هزتها بقوةٍ .. وقالت:

لا فرق بيننا .. كلنا سنرحل وسنغادر هذه الدنيا .. إما إلى جنة وإما إلى نار ..

ألم تسمعي قوله تعالى: ﴿ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ [آل عمران:١٨٥].

قلت:

تصبحين على خير يا حبيبتي ..

وهرولت مسرعةً إلى غرفتي ..

كان صوتها يطاردني:

لا تنسِ الصلاة يا هناء هداكِ الله ..

وفي الساعة الثامنة صباحًا ..

استيقظت من نومي أسمع طرقًا على باب غرفتي ..

هذا ليس موعد استيقاظي ..

بكاءٌ وأصوات .. يا إلهي ماذا جرى ..؟

لقد تردَّت حالة أختي نور .. وذهب بها أبي إلى المستشفى ..

إنا لله وإنا إليه راجعون .. لا سفر هذه السنة .. مكتوب علينا قضاء هذه العطلة في بيتنا ..

وبعد انتظار طويل في البيت ..

وعند الساعة الواحدة ظهرًا .. اتصل أبي من المستشفى يقول: بإمكانكم زيارتها الآن، هيا بسرعة.

أخبرتني أمي أن صوت أبي غير مطمئن.

وضعت عباءتي على كتفي .. ركبنا السيارة ..

كان الطريق طويلًا ..

كانت أمي بجواري تدعو الله لأختي ..

كانت تقول:

«يا رب إنها ابنتي الصالحة المطيعة .. إنها التي ما ضيّعت وقتًا ولا أمضت ساعة .. إلا في مرضاتك».

وصلنا إلى المستشفى، دخلنا من باب الطوارئ ..

سبحان الله ..

هذا مريض يتأوه .. وذاك مصاب في حادث سيارة .. وثالث عيناه غائرتان لا تدري هل هو من أهل الدنيا أم من أهل الآخرة .. منظر عجيب لم أراه من قبل ..

صعدنا درجات السلم بسرعة .. إنها في غرفة العناية المركزة ..

أخذتنا الممرضة إليها ..

كانت تقول وهي في طريقها إلى غرفة أختي:

إنها فتاة طيبة .. إنها صالحة .. تذكر الله دائمًا ..

وطمئنت الممرضة أمي أنها في تحسن بعد الغيبوبة التي أصابتها.

وصلنا ..

ممنوع الدخول لأكثر من شخص واحد.

هذه هي غرفة العناية المركزة ..

وسط زحام الأطباء وعبر النافذة الصغيرة التي في باب الغرفة .. أرى عيني أختي نور تنظر إليّ .. وأمي واقفة بجوارها ..

بعد دقيقتين خرجت أمي التي لم تستطع إخفاء دموعها ..

سمحوا لي بالدخول .. والسلام عليها .. بشرط ألا أتحدث معها كثيرًا .. دقيقتين فقط.

دخلت:

كيف حالك يا نور ..؟ لقد كنت بخير مساء البارحة .. ماذا جرى لكِ ..؟

أجابتني بعد أن ضغطت على يدي:

أنا الآن ولله الحمد بخير ..

قلت لها:

لكن يدكِ باردة ..

كنت جالسة على حافة السرير .. ولمست ساقها .. فأبعدت قدمها عني .. فقلت لها:

آسفة يا أختي .. إذا كنت ضايقتك ..

قالت لي:

كلا .. لكني تذكرت قوله تعالى:

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾

[القيامة:٢٩-٣٠].

ثم قالت:

عليكِ يا هناء بالدعاء لي .. فربما أستقبل عن قريبٍ أول أيام الآخرة .. سفري بعيد .. وزادي قليل ..

سقطت دمعة من عيني بعد أن سمعت ما قالت ..

بكيت كثيرًا .. فأخرجوني من عندها ..

استمرت عيناي في البكاء .. وأصبح أبي خائفًا عليَّ من كثرة بكائي .. أكثر من خوفه على أختي نور ..

لم يتعوَّد مني على هذا الانطواء في غرفتي .. بعد أن رجعنا إلى البيت ..

ومع غروب شمس ذلك اليوم الحزين .. ساد صمت طويل في بيتنا .. دخلت عليَّ ابنة خالتي ثم ابنة عمتي ..

أحداث سريعة ..

كثر القادمون .. اختلطت الأصوات ..

شيء واحد عرفته ..

أختي نور ماتت ...

لم أعد أميِّز من جاء .. ولا أعرف ماذا قالوا ..؟

يا الله .. أين أنا .. وماذا جرى ..؟

عجزت حتى عن البكاء .. بعد أخبروني أن أبي أخذ بيدي لأودع أختي الوداع الأخير .. لم أتذكر شيئًا ..

قالوا لي أنني قبلتها من رأسها!!

لم أعد أتذكر إلا شيئًا واحدًا .. حين نظرت إليها مسجَّاة على فراش الموت .. تذكرت قولها: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ﴾

عرفت حقيقةً: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾

عدت إلى مصلاها تلك الليلة .. وبدأت أصلِّي على سجادتها وأدعو لها ..

تذكرت أختي نور التي قاسمتني رحم أمي ..

فنحن توأمين ..

تذكرت من شاركتني همومي .. تذكرت من نفَّست عني كربتي .. تذكرت من كانت تنصحني ..

تذكرت من كانت تدعو لي بالهداية .. تذكرت من زرفت الدموع لليالي طويلة وهي تحدثني عن الموت والحساب ..

الله المستعان .. هذه أول ليلة في قبرها ..

اللَّهُمَّ ارحمها .. ونوِّر لها قبرها ..

هذا هو مصحفها .. وهذه هي سجادتها .. وهذا قلمها .. وهذه أدواتها ..

بل هذا هو الفستان الوردي الجميل الذي قالت لي:

سأخبئه لزواجي ..

تذكرتها وبكيت على أيام ضائعة ..

بكيت بكاءً متواصلًا .. ودعوت الله أن يغفر لي ويرحمني .. وأن يثبت أختي في قبرها ..

سألت نفسي ماذا لو كنتِ أنتِ الميتة ..؟

بقيت الليل كله أفكر .. بكيت بحرقة ..

شعرت بجمال أختي الحقيقي ..

إنه جمال نفسها .. إنه جمال قلبها .. إنه جمال حبها للخير ونصحها للناس ..

أذَّن المؤذن لصلاة الفجر ..

أديت الصلاة .. تذكرت قول ابن عمر رضي الله عنه :

«إذا أصبحت فلا تنتظر المساء .. وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح» ..

وهكذا كانت أختي نور سببًا في هدايتي .. وقربي من الله ..

إنني أوجه نداء إلى جميع الصالحات .. وإلى كل المسلمات ..

يا أخواتي .. ليكن الجمال كله في مرضات الله ﷻ .. وفي طاعته واتّباع سنة رسوله ﷺ .. وفي تربية الأولاد والذرية على الصلاح والتقوى.

أليس من الجمال الحقيقي أن تُخلِّف المسلمة جيلًا مسلمًا يوحِّد الله وينصر الإسلام ..؟ جيلًا يتربى على تعظيم أوامر الله ورسوله ﷺ ..؟

بلى والله ..

* * *

الأم العاقلة

إليكم هذه المقطوعة العجيبة ..

رأت امرأة في منامها أن ولدها يشعل أعواد كبريت ويقربها من عينيه حتى أصيبت العين باحمرار شديد ..

واستيقظت المرأة من نومها فزعة .. وهي تتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

لم يهدأ بالها ..

ذهبت إلى غرفة ابنها الذي لم يتجاوز السابعة عشر من عمره ..

وجدته على شاشة الكمبيوتر .. كان ضوء الشاشة ينعكس على النافذة ورأته يشاهد ما أفزعها وأثار مخاوفها ..

كان يشاهد فيلمًا إباحيًا ..

أرادت أن تقتحم غرفته .. وتصرخ في وجهه لكنها آثرت الانسحاب ..

رجعت إلى فراشها دون أن يشعر ولدها .. فكرت أن تخبر أباه ليتولى مسئولية تربيته ..

فكرت أن تقوم من فراشها مرة أخرى وتغلق الكمبيوتر وتوبخه على فعله ..

لكنها دعت الله أن يلهمها الصواب في الغد ..

وأمضت الليل كله تدعو الله لولدها بالهداية ..

وفي الصباح الباكر رأت ولدها يستعد للذهاب إلى المدرسة .. وكانا وحدهما .. فوجدتها فرصة للتحدث معه ..

سألته:

يا عماد ما رأيك في شخص جائع .. ماذا يفعل ..؟

فقال بشكل بديهي:

يذهب إلى مطعم ويشتري شيئًا ليأكله.

فقالت:

وإذا لم يكن معه مال؟

فسكت وكأنه فهم شيئًا ما ..

فقالت:

وماذا سنقول عنه لو تناول حبوبًا تفتح شهيته إلى طعام ..؟

فأجابها بسرعة:

أكيد هو مجنون .. فكيف يفتح شهيته .. وليس معه مال ولا طعام ..؟!

فقالت:

هل أنت متأكد أنه مجنون يا بني ..؟

قال:

نعم يا أمي هو كالمجروح .. الذي يرش على جرحه مِلحًا ..

قالت:

أنت تفعل مثل هذا المجنون يا ولدي ..

قال:

أنا يا أمي ..؟!!

قالت:

نعم ... برؤيتك ما يفتح شهيتك للنساء ..

فصمت وأطرق برأسه خجلًا .. وتابعت الأم كلامها ..

.. بل أنت أكثر جنونًا منه .. فهو يفتح شهيته لأمر حلال .. وأنت تفعل أمرًا حرامًا ..

.. عماد .. ماذا لو مت على هذا الحال ..؟

لن يكون أحد سعيد بموتك .. سوف تبعث يوم القيامة أمام الخلائق .. وأمام النبي محمد ﷺ على فعلك ذلك ..

بدأ عماد يبكي ..

وعاهدها على التوبة إلى الله ..

ذكَّرته والدته بنعم الله وأفضاله .. غرست في قلبه تعظيم خالقه سبحانه وتعالى بحسن أدب وأفضل تربية ..

كانت رقيقة جميلة .. ولن ينسى ولدها ذلك ..

فما أجمل هذه الصورة .. وما أروع العمل لدين الله سبحانه وتعالى

أختي المسلمة ..

إن الفتاة التي تبيع أولادها .. وذريتها كي تقضي وقتها في الذهاب إلى الأسواق .. أو في زيارة الصديقات .. أو في التجمل والتزين .. ليست جميلة والله ..

ليست جميلة .. كالجميلة التي تحمل في قلبها همًا لطاعة الله عز وجل .. وغيرة على محارمه سبحانه وتعالى ..

إن الجميلة الحقيقية .. هي التي تقف على باب الله .. فما تنصرف عن الباب حتى يرضى الله عنها ..

إن الجميلة الحقيقية .. هي التي تثبت فرائض الله فلا تضيعها .. بل تؤديها حق الأداء ..

إن الجميلة الحقيقية .. هي التي تحمل في قلبها همًّا للدعوة إلى الله ..

تبكي إن رأت فتاة عاصية .. وتحزن إن سمعت مغنية ..

وتتألم إن رأت حسناء يعبث بها الذئاب ..

إن الجميلة الحقيقية .. التي أعطت عهدًا لمولاها أن تعاشر زوجها بالمعروف .. فهي قرة عينه في الدنيا .. وهي قرينته في الآخرة ..

إن الجميلة الحقيقية .. هي التي إن تُليت عليها آيات الله .. رأيت دموعها تخبرك عما في قلبها من خشية لله ..

إن الجميلة الحقيقية .. هي التي تسهر الساعات الطويلة لتطلب علمًا يقربها من الله ..

تعلم أن من أراد الله به الخير فقهه في دينه ..

إن الجميلة الحقيقية .. هي التي لا تألو جُهدًا في تربية أولادها ..

فهي ثابتة على غرس خصال الإيمان .. وزرع فضائل الدين

.. فيخرج أولادها بساتين علمٍ وتقوى ..

إن الجميلة الحقيقية .. هي من تحمل همًا لأمة المسلمين ..

تتألم لحال أخواتها في فلسطين ..

وتبكي لحال أخواتها في الصومال ..

وتدمع عينها لواقع المغتصبات في كشمير ..

إن الجميلة الحقيقية .. هي التي إن رزقها الله جمالًا في الوجه والجسد .. لم تفتر عن ذكر الله وشكره ..

فهي دائمًا تقول:

يا رب كما رزقتني وجهًا حسنًا .. وشفةً حسنةً .. وقوامًا جميلًا .. أسألك أن ترزقني شكر هذه النعم .. وأن تجعل هذا الجسد فداءًا لدينك ولسنة نبيك ﷺ ..

إن الجميلة الحقيقية .. هي التي إن تحدثت النساء عن الدنيا و الزينة والملابس والسهرات والنُّزه .. تذكرت يومًا في الآخرة .. في الجنة .. سوف تلبس فيه أجمل الحلل .. وأحلى الحُلي وسوف تتنزَّه مع أمهات المؤمنين ..

سوف تصافح عائشة .. وتضاحك خديجة .. وتمازح أم سلمة .. وسوف ترى زوجات الأنبياء.. وعظيمات أمة الإسلام

.. فهي سعيدة كل السعادة بما ينتظرها عند الله ﷻ ..

يا فتيات المسلمين ..

بالله عليكنَّ .. دلوني على الجميلة ..

بل دلوا الأمة كلها عليها حتى تكون قدوة لزوجاتنا وبناتنا وأمهاتنا ونسائنا ..

أرجوكِ أختي ..

ابسطي كفك الآن .. وعاهدي الله منذ هذه اللحظة ..

أن تكوني جميلة حقًّا .. بطاعتك لله والبعد عما يسخطه ولا يرضاه ..

قولي:

يا رب .. الليلة أتيتك فلا تخيب رجائي .. اجعلني من جميلات الآخرة ..

يا رب .. خذ بناصيتي لما تحب وترضى ..

يا مولاي .. خذ بناصيتي للجنة ..

يا رب أصلح نساء المسلمين .. يا رب ارزقهن العفة والطهارة .. يا رب نسألك أن تطهر قلب كل فتاة من الآفات ..

يا رب .. كل فتاة نظرت بعينها إلى الحرام نسألك أن تغفر لها ما فعلت ..

يا رب .. كل فتاة سمعت بأذنها الحرام نسألك أن تغفر لها ما صنعت ..

يا رب .. كل فتاة مشت بقدمها إلى الحرام نسألك أن تغفر لها ما صنعت ..

يا رب .. كل فتاة تكلمت أو تلفظت بالحرام نسألك أن تغفر لها ما تلفظت ..

يا رب .. يا رب .. يا رب ..

اجعل زوجاتنا وبناتنا ونسائنا وجميع المسلمات من أهل الفردوس الأعلى من الجنة .. يا رب اجعلهن من جميلات الروح والقلب والفؤاد .. يا رب اجعلهن من الجميلات الصالحات العفيفات الطاهرات .. يا رب اصرف عنهن كيد الأعداء .. يا رب ارزقهن همةً للدعوةِ إلى دينك .. يا رب ارزقهن همةً لاتِّباع سنة نبيك ﷺ ..

اللَّهُمَّ هذا الدعاء .. ومنك الإجابة .. وهذا الجهد .. وعليك التكلان .. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ..

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

* * *

إصدارات الدار لفضيلة الشيخ

محمد الصاوي

دار الدين القيم للنشر و التوزيع

ج.م.ع القاهرة

01094999602 - 01116569494

daraldenalqayim@hotmail.com